

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)

«محكمة عليها»

السنة الثالثة، المسلسل الجديد، العدد الخامس، خريف ١٣٩٠

منهج الزوزنى فى «شرح المعلقات السبع»*

الدكتور سيدمحمد رضا ابن الرسول
أستاذ مساعد فى جامعة أصفهان
الدكتور محمد خاقانى
أستاذ مشارك فى جامعة أصفهان
الدكتورة سميه حسنعلبان
خريج جامعة اصفهان

الملخص

نظراً للشهرة الواسعة للمعلقات بوصفها قصائد انتهت إليها تجارب العرب الجاهليين وهى بلغت الذروة فى الجمال الشعري، والتصوير، والخيال فضلاً عن أنها تضم مجموعة كبيرة من الألفاظ الغريبة وأن كثيراً من أبياتها شواهد فى علوم البلاغة والصرف والنحو والتفسير... ولذلك اهتم بها العلماء فى مختلف العصور وأخذوا فى شرحها، من هذه الشروح كتاب الزوزنى شرح المعلقات السبع.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لأهمية دراسة منهج التأليفات و الكتب و تحليلها و نقدها لإفادة الباحثين منه وإنارة الطريق أمامهم، يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج الزوزنى فى شرحه على المعلقات مستخدماً المنهج التوصيفى - التحليلى.

أظهرت نتائج الدراسة أن الزوزنى اهتمّ بالمعنى فى شرحه اهتماماً بالغاً وأن الطابع العام لشرح هو الطابع التعليمى، وإن لم يغفل النحو والنقد والبلاغة والرواية فى شرحه إغفالاً تاماً.

الكلمات الدليلية

المنهج، المعلقات، الشروح، الزوزنى، «شرح المعلقات السبع».

* - تاريخ الوصول: ١٣٨٩/١٢/٢٤ تاريخ القبول: ١٣٩٠/٠٤/١٧
عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: ibnorrasool@yahoo.com

١- المقدمة

للمعلقات أهمية كبيرة ومكانة متميزة لدى الباحثين العرب القدامى والمحدثين ويمكن تحديد بدايات جمع هذه القصائد الشهيرة بقول النحاس بعد أن فرغ من شرح قصائد امرئ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد، وعنترة، والحارث وعمرو بن كلثوم: «واختلفوا فى جمع هذه القصائد السبع، فقليل إن العرب كان أكثرها يجتمع بعكاظ ويتناشدون، فإذا استحسنت الملك قصيدة قال علقوها وأثبتوها فى خزانتى، وأما قول من قال: إنها علقّت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة، وأصح ما قيل فى هذا أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس فى حفظ الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها، وقال لهم هذه المشهورات، فسميت القصائد المشهورة لهذا» (النحاس، د.ت: ١٢٥).

وهى فى الحقيقة من أقدم المصطلحات التى عرفها تاريخ الأدب العربى كما أنه كان يعرف مصطلحات «الحواليات»، «النقائض»، «الهاشميات» و... طوال عصوره المختلفة. ونظراً لأهمية المعلقات فى الأدب العربى تناولها عدد من العلماء بالشرح والتفسير والتوجيه اللغوى والنحوى والصرفى والصوتى - وما زال كثير من العلماء يهتمون بها وبشرحها - و من أسباب كتابة شروح المعلقات هى: سبب تاريخى، سبب لغوى و سبب عاطفى.

و من هؤلاء العلماء الذين اهتموا بشرح هذه القصائد هو الزوزنى فى كتابه «شرح المعلقات السبع».

ولا يخامرنا شك أن لكتاب الزوزنى هذا «شرح المعلقات السبع» شهرة واسعة وصيتاً ذائعاً فى العالم العربى بين كتب الشروح وهو مرجع يعتمد عليه كثير من المهتمين باللغة العربية وآدابها وفى بلدنا، إيران، خاصة يتوجه إليه متعلموا اللغة العربية وآدابها للتعرف على المعلقات ومعانى أبياتها ويُدرّس الكتاب فى كثير من الجامعات الإيرانية بوصفه وحدة دراسية.

من أهم الأهداف التى تقصد هذه المقالة أن تحققها هى: بيان المصادر التى اعتمدها الشارح فى شرح المعلقات، والتعرف على أهم السمات البارزة لمنهج الزوزنى فى كتابه «شرح المعلقات السبع»، ومعرفة مدى اهتمام الزوزنى بالنحو، والبلاغة و الرواية و النقد فى كتابه.

جدير بالذكر أن لمعرفة المنهج طريقتين: الطريق الأول: أن ينص المؤلف (الشارح) على منهجه فى أول كتابه فى المقدمة كما فعل الشراح المعاصرون فى شرحهم للمعلقات كمفيد قميحة، أو أن ينص عليه فى مواضع متفرقة فى الكتاب. والطريق الثانى: أن يُعرف المنهج عن طريق الاستقراء. و بما أن الزوزنى لم يُشر إلى منهجه فى مقدمة كتابه، فعلىنا أن نستقرئ

منهج الزوزنى فى شرحه بقراءة نصوصه، المنهج الذى يتبعه هذا البحث هو التوصيفى - التحليلى.

ولا يفوتنا الذكر بأنه بالنسبة إلى دراسة المنهج للتأليفات المختلفة التاريخية والتفسيرية فهناك مقالات وكتب قيّمة، ولكن بالنسبة إلى منهج شراح المعلقات فنكاد لا نجد بحثاً شاملاً وافياً للموضوع.

٢- موجز عن الزوزنى

حسين بن أحمد بن حسين الزوزنى، أبو عبدالله، عالم بالأدب، قاض، من أهل زوزن (بين هراة ونيسابور) (الزركلى، ١٩٦٩م، ج ٢: ٢٥٠). كان بصيراً بالأدب خبيراً، كان ضريراً، لم يكن له فى دهره نظير، كانت له يد فى الأصول الكلامية ومنزلة رفيعة فى العلوم الأدبية (القفطى، ٢٠٠٤م، ج ١: ٣٥٥). فمع الأسف لم تشر كتب التاريخ والأدب أكثر ممّا ذكرناه إلى حياة الزوزنى ولم يذكروا شيوخه ومصادر أدبه وعلمه وقصّة حياته. ومع أن الكتب التاريخية والأدبية لم تذكر تاريخ الميلاد للزوزنى ولكنهم أشاروا إلى تاريخ وفاته وهو ٤٨٦هـ أى فى بداية الربع الأخير من القرن الخامس.

له من الكتب: «شرح المعلقات السبع» و «المصادر» وهو معجم للمصادر فى اللغة العربية مرتب على حروف المعجم. قال صاحب كشف الظنون: «جرده عن شواهد الحديث والأشعار والأمثال، وترجمها ونقحها وصدّر كل باب بمصادر الأفعال الصحيحة ثم أتبعها بالمصادر المعتلة وهلمّ جراً». (حاجى خليفة، د.ت، ج ٥: ٣١٠). وقد ذكر هذا الكتاب بأسماء مختلفة منها: «كتاب المصادر»، «مصادر»، «المصادر»، «مصادر اللغة». «ترجمان القرآن» بالعربية والفارسية، «القانون» وهو كتاب فى الأصول أشار إليه القفطى (٢٠٠٤م، ج ١: ٣٥٥).

٣- منهج الزوزنى فى «شرح المعلقات السبع»

«شرح المعلقات السبع» العنوان الذى اشتهر به شرح الزوزنى والأقرب إلى الصواب أن الزوزنى لم يختر عنواناً مشتملاً على اسم «المعلقات» لأنه فى مقدمته الموجزة اكتفى باسم «القوائد السبع» فى قوله: «هذا شرح القوائد السبع أمليته على حدّ الإيجاز والاختصار على حسب ما اقترح علىّ مستعيناً بالله على إتمامه» (الزوزنى، ١٩٦٣: ٥). يبدو من النصّ كأن الزوزنى كان معلماً ولديه طلاب أملى عليهم شرح هذه القوائد وراعى جانب الاختصار والإيجاز فى شرحه لهم كما أشار إليه نفسه.

وسنشير هنا إلى أهمّ سمات منهج الزوزنى فى كتابه:

٣-١- مصادره فى شرحه

يبدو أن الزوزنى صنّف شرحه للمعلقات استجابة لدوافع اجتماعية وعلمية يمكننا أن نردّها

إلى:

أ - تلبية رغبات معاصريه وذلك أن بعض رجال العلم أو السياسة أو الأدب رغبوا إلى الزوزنى أن يكتب شرحاً للمعلقات فيستجيب لهم ويحقق رغبتهم، كما قال فى مقدمته «على حسب ما اقترح على». (الزوزنى، ١٩٦٣م: ٥).

ب - قصور الشروح السابقة فى شرح المعنى، لم يُشر الزوزنى نفسه إلى هذا الدافع، ولكننا إذا قارنا منهجه بمنهج الشراح الآخرين وأدركنا منهجه القائم على المعنى، ولاحظنا رغبة المؤلف فى تقليب المعنى على عدة وجوه الاستقصاء ما أمكن أن توحى كلمة أو عبارة من ظلال وألوان، فنستطيع أن نستنتج أنه كان ينحى منحىً جديداً فى شرحه وهو المنهج المعتمد على المعنى.

وعندما ندقق فى مصادر الزوزنى فى شرحه نلاحظ تخففاً شديداً عنده فى ذكر المصادر وفى الجدول التالى إشارة إلى مصادره وعدد المرات التى ذكرها:

الجدول الأول - مصادر الزوزنى فى شرحه

مصدر الزوزنى	مرة
ابن الأنبارى	٨
ثعلب	٦
الأصمعى	٥
الفراء	٤
ابن الأعرابى	٢
سيبويه	٢
أبو عبيدة	٢
ابن دريد	٢
عمارة بن عقيل	١
المازنى	١
الشيبانى	١
الخليل	١
ابن سلام	١
الأخفش	١
السيرافى	١
القتبى	١

١	الثعالبي
١	ابن مجاهد
١	المبرد
١	يعقوب

أخذ الزوزني - كما يبدو من الجدول - عن مجموعة من النحويين، وبعضهم كان ينتمي إلى مدرسة البصرة كالخليل، سيبويه، الأصمعي وأبوعبيدة والبعض الآخر كان يُنسب إلى مدرسة الكوفة كالقراء، ثعلب، ابن الأعرابي و الشيباني. واستعان في شرحه أيضاً باللغويين كإبن دريد، ابن الأنباري، والثعالبي، المبرد. ولعلّ مذهبه اللغوي هو من الأسباب التي حملته على الاستعانة بهذا أو ذاك من النحويين واللغويين.

يُلاحظ في الجدول أن ابن الأنباري، ثعلب والأصمعي الذين يحتلون المرتبة الأولى بين مآخذ الزوزني ولكنّه لا يتجاوز ذكره إياهم عشرة مرّات، لعلّ سبب ذلك التخفّف عنده يعود إلى ميل المؤلف في الأدب وذلك أسفر عن إقلاله ذكر الأسانيد كما أن التاريخ الأدبي يعرف كتاباً حذفوا الأسانيد كلياً من كتاباتهم كما فعل المبرد أحياناً في كتابه (الفاضل) والصولي في كتابه (أدب الكاتب) (حرب، ١٩٩٣م: ٧٥ نقلاً عن عيد: ٨٤).

نجد في شرح الزوزني إلى جانب هؤلاء النحاة واللغويين التقات مجموعة ضخمة من المآخذ والمصادر المبهمة غير المحددة التي يعبر بها بـ «بعضهم» (١٢)، «الأئمة» (١١٣)، «صنف من الأئمة» (٢٨)، «قال آخرون ... وقال الآخرون» (٢٨)، «يُروى» (٢٠، ٢١، ٣٢، ٩٨، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥). ولم تكن استعانتة بهذه المصادر قليلة، بل هي كثيرة وغير منقولة عن رواية ثقة.

٣-٢- عناصر شرح البيت عنده

الزوزني لغوي وكما يبدو من مقدمته الموجزة للكتاب أن أحداً - لعله من تلامذته - طلب إليه أن يكتب هذا الشرح، ومن الطبيعي أن يهتمّ بشرح المفردات والألفاظ الصعبة في كلّ بيت ليسهّل الطريق لدارسي المعلقات، إذ كان غايته الأولى في صناعة شرحه.

إذن شرحه ذو ركائز ثلاث هي تفسير المفردات الغريبة وشرح العبارات المشكّلة وبيان المعنى الكلّي للبيت. لننظر شرحه للبيت ٤٦ من معلقة زهير:

سَمِئَتْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

«سَمِئَتْ الشَّيْءُ سَامَةً: ملته، التكاليف: المشاق والشدائد، لا أباً لك: كلمة جافية يراد بها الجفاء وإنما يراد بها التنبيه والإعلام. يقول: مللت مشاق الحياة وشدائدها ومن عاش ثمانين

سنة مل الكبر لا محالة» (الزوزنى، ١٩٦٣م: ٨٦) فهذا الشرح الموجز يضم تلك الركائز الثلاث المشار إليها.

يحتوى شرحه علاوة على هذه الأصول، الرواية والنحو والبلاغة ... وسنشير إلى كيفية استعمالها فى شرحه فى الأقسام الآتية. وفى مواضع عدّة يُظهر رأيه فى البيت أو يفضّل رواية على أخرى ولأن يكون شرحه أوفى بالغرض - وهو الاهتمام بالمعنى - يستشهد بالآيات الشريفة للقرآن الكريم والآيات الشعرية للصور المختلفة لشرح المفردات والعبارات أو لتوضيح قاعدة صرفية أو نحوية أو بلاغية.

ولم يُراعِ الزوزنى الترتيب المذكور (شرح المفردات فشرح العبارات فإتيان المعنى الكلى للبيت) فى كل بيت، بل جاء بشرح الألفاظ الصعبة بعد أن شرح معنى البيت أو جاء بذكر المسائل النحوية بعد شرح المعنى والألفاظ .. وهكذا لوّن شرحه بألوان من ثقافته.

٣-٣ - شرح الغريب والألفاظ الصعبة

الكلمات الغريبة هى همّه فى كل بيت إذ لا يتّضح المعنى إلّا بتوضيحها، وهنا نشير إلى أهمّ مظاهر شرح الزوزنى للألفاظ الغريبة، منها:

٣-٣-١- من مظاهر اهتمام الزوزنى بالغريب أنه يقلّب الكلمة الواحدة على وجوه عدّة ليقدّم للقارئ أقصى ما يمكن أن تحويه من معان، فهو يقول فى شرح البيت ٧ من معلقة لبيد:

و العَيْنُ ساكِنةٌ على أطلالِها عوداً تَأَجَّلُ بالفِضَاءِ بهائمُها

«... البهام: أولاد الضأن إذا انفردت، وإذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعز قيل للجميع بهام، وإذا انفردت أولاد المعز من أولاد الضأن لم تكن بهاماً وبقر الوحش بمنزلة الضأن وشاء الجبل بمنزلة المعز عند العرب» (نفس المصدر: ٩٣)

٣-٣-٢- ومنها أنه كان يشير إلى جمع اللفظة إذا وردت مفردة فى البيت، وهناك نماذج كثيرة فى شرحه ولكننا هنا نشير إلى بعضها، يقول فى شرحه للبيت الـ ٤٠ لمعلقة امرئ القيس:

وَألقى بِصَحراءِ الغَبِيطِ بَعاعُهُ نُزولَ الِيمانى ذى العِبابِ المُخَوَّلِ

«الصحراء تجمع على الصحارى والصحارى معاً». (نفس المصدر: ٤٠).

أو كان يشير إلى مفرد الكلمات إذا وردت جموعاً فى البيت، كشرحه للبيت الـ ٢٦ من معلقة لبيد:

يَعَلو بها حُدبِ الإِكامِ مُسَحَّجٌ قَد رابَهُ عِصيانُها وَوَحامُها

«الإكام: جمع أكم، وكذلك الآكام والأكم جمع أكمة ويجمع الآكام على الأكم». (المصدر

نفسه: ١٠٠)

ويشرح الزوزنى حيناً اللفظة مفردة مع أنها وردت فى البيت جمعاً كشرحه للبيت:

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَدَوَةٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْاصِفِ مِنْ دَدٍ
«الحدج: مركب من مركب النساء والجمع حدوج وأحداج وأحداجة مثله وجمعها حدائج». (نفس المصدر: ٤٥).

ويشير إلى الجموع المختلفة لكلمة واحدة في شرحه كما قال في شرح البيت السابق لطفرة: «السفين جمع السفينة ثم يجمع السفين على السفن وقد يكون السفين واحداً وتجمع السفينة على السفائن». (المصدر نفسه)

ويشرح حيناً آخر اللفظة جمعاً مع أنها وردت في البيت مفرداً كشرحه للبيت ٦٩ للبيد:
تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي وَرَدَ الْحَمَامَةَ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا
«الحمام: ذوات الأطواق من الطير واحدها حمامة وتجمع الحمامة على الحمامات والحمام أيضاً». (نفس المصدر: ١١٢)

ويذكر حيناً ثالثاً إلى تننية الكلمات، وهذا لا طائل تحته إلا أن نلاحظ فيه غرضاً تعليمياً ولا غير، كقوله في البيت:

كَأَنَّ سِبَاعاً فِيهِ غَرْقَى غُدِّيَّةٌ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوى أَنَايِشُ عُنْصَلٍ
«الأرجاء: النواحي، الواحد رجا مقصور، والتننية رجوان» (نفس المصدر: ٤١).

وقد يكون العذر في ردّ الجمع إلى مفرده تسهياً لشرحه وقد يكون له العذر في ردّ المفرد إلى جمعه مما يشكل، وبدا الأمر عنده أقرب إلى المنهج الملتزم من الاختيار الآتي.

٣-٣-٣- ذكر المرادفات من أصل واحد للكلمة التي وردت في البيت، كبيت ٥٩ للبيد:
أَعْلَى السِّبَاءِ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةَ قَدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا
قال: «الخاتم والخاتام والخيتام والختام واحد». (نفس المصدر: ١١٠) وكان المعنى واضح إلى حد لم يذكره الزوزني.

٣-٣-٤- شرح الأفعال الواردة في البيت بشرح مصدرها، كما نشاهد في شرحه البيت:
وَبَيْضَةُ خِدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مُعْجَلٍ
«الروم: الطلب والفعل منه يروم» (نفس المصدر: ١٧)

وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع طُبي أو مساوِيكُ إسْجَلٍ
«العطو: التناول، والفعل عطا يعطو عطواً، والإعطاء المناولة، والتعاطى التناول، والمعطاة الخدمة والتعطية مثلها». (نفس المصدر: ٢٤)

٣-٣-٥- الإشارة إلى تذكير لغة ما أو تأنيثها، كما أشار إليها في شرحه للأبيات التالية:
وَفِي الْحَىِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سِمَطَى لَوْؤُ وَزَبْرَجِدٍ
«الأحوى: الذي في شفتيه سمرة والأنثى الأحوى والجمع الحو» (نفس المصدر: ٤٦).

أَلَا رَبُّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٌ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ

«الخصم لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فى لغة شطر من العرب.. ويثنى ويجمع فى لغة الشطر الآخر من العرب ويجمع على الخصام والخصوم» (نفس المصدر: ٢٥).
٣-٣-٦ - تصريف الفعل المذكور فى البيت بذكر ماضيه ومضارعه ومصدره، كما هو الحال فى البيت:

وَكَوْلَا ثَلَاثَ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَكَ لَمْ أَحْفَلِ مَتَى قَامَ عَوْدَى
«الجد: الحظ والبخت، والجمع الجدود وقد جدَّ الرجلُ يَجْدُ جَدًّا فهو جَدِيدٌ، وَجَدَّ يَجْدُ جَدًّا فهو مَجْدُودٌ إذا كان ذا جَدٍّ، وقد أجده الله إجداداً جعله ذا جَدٍّ» (نفس المصدر: ٦٠).
وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَا ءِ خَطْبٌ نَعْنَى بِهِ وَنَسَاءُ
«عَنِى الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ يَعْنَى فَهُوَ مَعْنَى بِهِ، وَعَنِى يَعْنَى إِذَا كَانَ ذَا عِنَاءٍ بِهِ، وَسُوْتُ الرَّجُلِ سَوْءٌ أَوْ مَسَاءَةٌ وَسُوَائِيَّةٌ: أَحْزَنْتُهُ» (نفس المصدر: ١٥٧).

ويهتم أيضاً بتكوين المفردة صرفياً كذكره عند كون الكلمة مصغرة فى شرحه:
إِذَا مَا رُحِنَ يَمْشِينُ الْهُوَيْنَى كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا
«الهُوَيْنَى تصغير الهونى وهى تأنىث الأهون مثل الأكبر والكبرى». (نفس المصدر: ١٣٣)،
وكذلك فى شرحه البيت ٤٨ لعمره فى شرح كلمة (حدياً) إذ قال: «حدياً: اسم جاء على صيغة التصغير مثل الثريا وحميا وهى بمعنى التحدى» (نفس المصدر: ١٢٦).

٣-٣-٧- بيان علّة تسمية مفردة ما باسمها وهو عنصر أساسى فى شرحه الألفاظ الصعبة يعطيه من اهتمامه وجهوده الشىء الكثير، وأشار إلى وجه تسمية ٢٢ مفردة فى شرحه، منها قوله فى شرح البيت الـ٧٣ لمعلقة عنتره:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَى ضَمَّضَمٍ
حيث قال مشيراً إلى وجه تسمية مفردة «الدائرة»: «سميت «الحادثة» بها لأنها تدور من خير إلى شرٍّ ومن شرٍّ إلى خير» (نفس المصدر: ١٥٢).

٣-٣-٨- توضيح المعنى الذى يدلّ عليه صيغة الكلمة ووزنها، إضافة إلى ذكر أصل الكلمة وما يتصل به، كما أشار فى شرحه للأبيات:

كَأَنَّ فَنَاتِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ
«الفنات: اسم لما انفت من الشىء أى تقطع وتفرق وأصله من الفت وهو التقطيع والتفريق والفعل منه فت يفت، والمبالغة التفتيت، والمطاوع الانفتات والتفتت» (نفس المصدر: ٧٧).

وَطَىُّ مَحَالٍ كَالْحَنِىِّ خَلُوفُهُ وَأَجْرَنَةٌ لَزَّتْ بِدَأَى مُنْضِدٍ
«التنضيد مبالغة النضد وهو وضع الشىء على الشىء والمنضد أشدّ من المنضود». (نفس المصدر: ٥١).

٣-٣-٩- الاهتمام بأصل الكلمات أهي كلمة رومية أم فارسية معرّبة وفي الحقيقة تتسع دائرة شرح الكلمة الغريبة عنده لتظهر لنا صلة العربية باللغات المجاورة:

وَتَضَىءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً
كَجَمَانَةِ الْبَحْرِىِّ سُلِّ نِظَامُهَا
«الجمان والجمانة درة مصوغة من الفضة ثم يستعاران للدرّة وأصله فارسيّ معرب وهو كمانّة» (نفس المصدر: ١٠٥).

وقال في مفردة (المهراق) في البيت ٦٧ للحارث «المهراق: جمع المهرق وهو فارسيّ معرب، والمهرق: معرب مهر كرد» (نفس المصدر: ١٦٧).

وقال أيضا في شرح البيت التالي:
مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءُ غَيْرِ مُفَاضَةٍ
تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ
«السجنجل: المرآة، لغة رومية عربتها العرب وقيل بل هو قطع الذهب والفضة» (نفس المصدر: ٢٠).

٣-٣-١٠- الإشارة إلى اللغات المختلفة للكلمة في البيت، حيث أشار إلى اللغات المختلفة الموجودة لـ ١٣ مفردة، وذلك كإشارته إلى لغات مفردة «الترب» في شرح البيت الخامس لمعلقة طرفة:

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرَومُهَا بِهَا
كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ
«التُّرْبُ، التُّرَابُ، التُّرْبَاءُ، التُّورَبُ، التُّيرَابُ، التُّورَابُ واحد» (نفس المصدر: ٤٦).
ومن هذا المنطلق يبذل شرحه بما يشبه معجماً في شرح الألفاظ ومفرداتها وجموعها، يهب القارئ فوائد جمة، وهكذا كان تفسير الغريب يُبعد الزوزني عما كان بصدد بيانه، فطاف بقارئه شرحه في أرجاء اللغة العربية محللاً وناقداً ومقارناً وهذا الميدان - تفسير الغريب - هو الذي دفع به إلى عرض لمع من علم الصرف في اللغة كما تبين لنا من خلال النماذج.

٣- ٤ - شرح المعنى

كان المعنى الغاية الأولى لدى الزوزني في شرحه المعلقات ونراه يستخدم شرح المفردات والعبارات والنحو والبلاغة خدمة للمعنى الذي أعطاه أعظم جهوده واهتمامه في كتابه. وبرز هذا الجانب - أي المعنى - في شرحه حتى نراه يستخدم ما حصله من ثقافة ومعرفة في سبيل إيضاح المعاني.

من أهم مظاهر اهتمامه بالمعنى هو:

٣-٤-١- أنه أشار إلى المعنى بلفظ «يقول» وهذا اللفظ ممّا نشاهده تقريباً في كلّ الأبيات المشروحة في كتابه، ووضح الأمر في النماذج التي أشرنا إليها إلى حدّ الآن فنكتفي هنا بمثال:

وَإِنَّ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنِ يَبْدُو
عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا

«يقول: وإن الضغن بعد الضغن تفسو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفتدة أى يبعث على الانتقام» (١٢٥).

وفى بعض الأحيان أورد اللفظ مرتين، كشرحه البيت:

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارَنِي بَنُونَ كِرَامٍ سَادَةً لِمُسَوِّدٍ

«يقول: فصرت حينئذ صاحب مال كثير وزارنى بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسود يعنى به نفسه والتسويد مصدر سودته فساد. يقول: لو بلغنى الله منزلتهما لصرت وافر المال كريم العقب وهو الولد» (نفس المصدر: ٦٤). ولعله «القول» الثانى يفيد ما يفيد لفظة «يريد» فى الشروح.

٣-٤-٢- وضح المعنى أكثر فأكثر وأتى بلفظ «تحرير المعنى» أو «المراد منه» أو «يريد» أو «المعنى من هذا الكلام» وشرح معنى البيت وقلبه على عدّة وجوه لتلّا يبقى فيه أى غموض وإبهام:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعَلَّمَ

«يقول: ومهما كان للإنسان من خلق فظن أنه يخفى على الناس علم ولم يخف .. وتحرير المعنى: أن الأخلاق لا تخفى والتخلق لا يبقى» (نفس المصدر: ٨٩).

٣-٤-٣- وإذا طال بيانه فى المعنى لخصه وأتى بقوله «تلخيص المعنى»، كقوله فى شرح البيت ٣١ لمعلقة لبيد:

فَتَنَازَعَا سَبِيحًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ كَدُخَانٍ مُشَعَّلَةٍ يُشَبُّ ضِرَائُهَا

قال: «يقول: فتجاذب العير والأتان فى عدوهما نحو الماء غباراً ممتداً طويلاً كدخان نار موقدة تشعل النار فى دقاق حطبها؛ وتلخيص المعنى: أنه جعل الغبار الساطع بينهما بعدوهما كحوب يتجاذبان ثم شبهه فى كثافته وظلمته بدخان نار موقدة» (نفس المصدر: ١٠١).

٣-٤-٤- وشرح المعنى على حسب الروايات المختلفة للبيت كشرحه للبيت الثانى من معلقة عمرو بن كلثوم:

مُشَعَّعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

بعد أن شرح معنى البيت بناءً على رواية (سخينا) قال «... ويروى سخينا، بالشين المعجمة أى إذا خالطها الماء مملوءة به. والشحن: الملاء والفعل شحن يشحن، والشحين بمعنى المشحون كالقتيل بمعنى المقتول، يريد أنها حال امتزاجها بالماء وكون الماء كثيراً تشبه هذا النور» (نفس المصدر: ١١٨).

أو فى بيت ٤١ من المعلقة نفسها:

وَبَحْنٍ إِذَا عَمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ عَنِ الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا

إذ يروى «على الأحفاض» و«عن الأحفاض» وعلى الرواية الأولى يراد الأمتعة وعلى الرواية الثانية يراد الإبل، وشرح الزوزني المعنى بناءً على الروايتين، وقال: «يقول: ونحن إذا فُوِّضَتِ الخيام فَخَرَّتْ على أمتعتها نَمْنَعُ ونَحْمِي من يَقْرُبُ مِنَّا من جيراننا أو ونحن إذا سقطت الخيام عن الإبل للإسراع في الهَرَبِ نَمْنَعُ ونَحْمِي جيراننا إذا هرب غيرنا حَمِينًا غيرنا» (نفس المصدر: ١٢٥).

٣- ٤- ٥- وذكر كل المعاني التي يحتمل أن يضمها البيت نظراً لمعاني الأدوات فيه كالاستفهام في البيت العشرين من معلقة امرئ القيس:

أَغْرَكِ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْتِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

بعد أن شرح المعنى على أساس أن ألف الاستفهام للتقرير، أشار إلى أن من الناس من حمله على مقتضى الظاهر ووضح معنى البيت (نفس المصدر: ١٥).

وكذلك في البيت الأول لمعلقة عنتر، إذ شرح المعنى بعد أن أشار إلى معنى الاستفهام في البيت (نفس المصدر: ١٣٧).

٣- ٤- ٦- وشرح المعنى نظراً للمعنى المناسب والمختار لكلمة كقوله في البيت الثالث عشر من معلقة امرئ القيس:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدرَ خِدرَ عُنْبِيزَةَ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي

بعد أن شرح المعاني المختلفة لكلمة «الخدر» اسماً وفعلاً ومصدراً قال: «المراد بالخدر في البيت الهودج» (نفس المصدر: ١٢).

أو قوله في البيت ٣٤ لزهير:

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلِي مُسْتَكِنَةً فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ

إذ وضح معنى «الاستكان» قائلاً: «الاستكان: طلب الكن، والاستكان الاستتار، وهو في البيت على المعنى الثاني» (نفس المصدر: ٨٣). نلاحظ أنه أورد معنى البيت مهتماً بالسياق وما احتاج البيت في تكميل معناه.

وفي بعض الأحيان لم يختار المعنى المناسب وشرح معنى البيت على أساس كل المعاني التي وردت للكلمة كشرحه للبيت الـ ١٨ للحارث:

زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيَّ سَرَّ مَوَالِ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ

«والعير في هذا البيت يفسر بالسيد، والحمار، والوتد، والقذى، وجبل بعينه» وشرح معنى بكل هذه المعاني «إن فسّر بـ... كان المعنى: ...» (نفس المصدر: ١٥٨).

٣- ٤- ٧- ووضح المعنى نظراً لتكوين الكلمة صرفياً، كالبيت ٥١ لعنترة:

وَمِشْكٌ سَابِعَةٌ هَتَكَتُ فَرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنِ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمِ

«المعلم» بكسر اللام بمعنى الذى أعلم نفسه أى شهرها بعلامة حتى ينتدب الأبطال لبرازه، والمعلم بفتح اللام بمعنى الذى يُشار إليه ويدل عليه بأنه فارس الكتبية وواحد السرية. وشرح الزوزنى المعنى نظراً إلى هذين المعنيين اللذين يؤثران فى المعنى: «يقول: وربّ مشك درع أى ربّ موضع انتظام درع واسعة شققت أوساطها بالسيف عن رجل حام لما يجب عليه حفظه شاهراً نفسه فى حومة الحرب أو المشار إليه فيها» (نفس المصدر: ١٤٨).
٣- ٤- ٨ - ويبيّن معنى العبارة المشكّلة أو الجمل الغامضة، كشرحه للبيت الرابع عشر لعمرّو:

ذِرَاعَى عَيْطَلِ أَدْمَاءَ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

إذ شرح عبارة (لم تقرأ جنينا) بقوله: «أى لم تضمّ فى رحمها ولداً» (نفس المصدر: ١٢١).
أو البيت الأحد عشر له:

بِیَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْنًا أَقْرَبُهُ مَوَالِيكَ الْعِيُونَا

إذ شرح عبارة الشطر الثانى مشيراً إلى قول العرب (أقر الله عينك) ناقلاً عن الأصمعى: «وعناه أبرد الله دمعك، أى سرّك غاية السرور» (نفس المصدر: ١٢٠).

٣- ٤- ٩ - الاهتمام بكلّ كلمة وبيان أثره فى المعنى، ولم يغفل كلمة واحدة أثرت على المعنى إلا شرحها وبيّن أثرها عليه، كشرحه للبيت ٥٣ لمعلقة امرئ القيس:

مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عُلِّ

إذ قال: «وقوله: معاً، يعنى أن الكرّ والفرّ والإقبال والإدبار مجتمعّة فى قوته لا فى فعله لأنّ فيها تضاداً» (نفس المصدر: ٣٠). وكذلك شرحه الاستثناء فى البيت التاسع لطرفة:

سَقَّتُهُ إِيَاةَ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ أَسِيفٌ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

«ثمّ قال: إلّا لثاته، يستثنى اللثات لأنه لا يُستحبُّ بريقها» (نفس المصدر: ٤٨).

٣- ٤- ١٠ - صرّح الزوزنى نفسه فى موضع إلى أنه قد استوفى المعنى ولم يُبق شيئاً يُذكر وهذا فى شرحه للبيت ٤٨ من معلقة امرئ القيس:

نَدَامَاىَ بِيضٌ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمَجْسَدِ

بعد أن ذكر الوجوه المختلفة فى وصف النساء بالبياض: «والممدح بالبياض فى كلام العرب لا يخرج من هذه الوجوه» (نفس المصدر: ٥٨).

٣- ٤- ١١ - بيان المعنى وشرحه على حسب النحو وإعراب الكلمة فى البيت الثانى لعمرّو:

مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ الحُصْنَ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

إذ شرح البيت بتقدير جعل (سخينا) فعلاً وصفةً وقال: «...هذا إذا جعلنا سخيناً فعلاً وإذا جعلنا صفة كان المعنى: كأنها حال امتزاجها بالماء وكون الماء حاراً نور هذا النبات». (نفس المصدر: ١١٨).

٣-٥ - الشواهد

من السمات البارزة لمنهج الزوزني في شرح المعلقات اهتمامه بالشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال.

٣-٥ - ١ - القرآن الكريم

لم يُستثنَ الزوزني في الاستشهاد بالقرآن الكريم في شرحه؛ إذ يُعتبر القرآن أفصح نصٍّ عربي استشهد به المشتغلون بالعربية منذ صدر الإسلام وبه تعلق نشأة الدراسات العربية بفروعها المختلفة ولقد أجمع العلماء على أن القرآن هو النص الوحيد الموثوق بصحته وعدّوه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة (البكّاء، ١٩٩٠م: ١٦٢).

أمّا مواضع استشهاد الزوزني بالآيات القرآنية فتكون لأغراض تالية:

- شرح مفردة: جعل الزوزني القرآن الكريم شاهداً على معاني الألفاظ في اللغة وهو «ما ينبغى الأخذ به قبل كل شيء في باب الاستشهاد اللغوي؛ لأن الاستشهاد بالقرآن الكريم يعنى الاعتماد على أبلغ الكلام وأوثقه وأعلاه، فلا بدّ إذاً من تقديمه على ما سواه من الشواهد الأخرى مهما علت واستوتقت» (الزبيدي، ٢٠٠٤م: ٢١٨). استشهد الزوزني لشرح بعض المفردات والألفاظ الصعبة بالآيات القرآنية منها شرحه البيت الثالث من معلقة لبيد:

دَمْنٌ تَجْرَمُ بَعْدَ عَهْدِ أَنْبِيئِهَا حَجِجٌ خَلَوْنَ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا
إذ قال: «الخلو: المضى، ومنه الأمم الخالية ومنه قوله عز وجل: وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي [الأحقاف ٤٦: ١٧]» (الزوزني، ١٩٦٣: ٩٢).

- بيان قضية نحوية: استشهد بالآية القرآنية حيناً لشرح المعنى النحوي أو مسألة نحوية

كشرحه البيت ٣٤ زهير:

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكِنَةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمَ
قال الزوزني: «فلا هو أبداها أى فلم يبدها، ويكون «لا» مع الفعل الماضى بمنزلة «لم» مع الفعل المستقبل في المعنى كقوله تعالى: فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى [القيامة ٧٥: ٣١] أى فلم يصدق ولم يصل» (نفس المصدر: ٨٣).

- توضيح مسألة صرفية: وذلك كشرحه للبيت ١٢ زهير في شرحه لمفردة «الأنيق» قال: «فعليل بمعنى المفعّل، كالحكيم بمعنى المحكّم والسميع بمعنى المُسمع والأليم بمعنى المؤلم ومنه قوله عز وجل عَذَابٌ أَلِيمٌ [آل عمران ٣: ٧٧، ٩١، ١٨٨، والمائدة ٥: ٧٣]» (نفس المصدر: ٧٦).

- شرح مسألة بلاغية: استشهد بالآية لبيان ما وضح من البلاغة فى البيت وإن كان موجزاً كشرحه البيت السادس لعنترة:

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيراً عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

إذ قال: «يقول: نزلت الحبيبة بأرض أعدائى فعسر على طلبها وأضرب عن الخبر فى الظاهر إلى الخطاب وهو شائع فى الكلام، قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ [يونس: ١٠: ٢٢]» (نفس المصدر: ١٣٨).

وقد لاحظت على منهجه فى الاستشهاد بالقرآن الكريم ما يلى:

- عدد الآيات الكريمة المستشهد بها فى شرح الزوزنى يبلغ ٤٩ آية.

- الجدول التالى يشير إلى تعدد الآيات المستشهد بها فى شرح كل معلقة ونسبتها المئوية: الجدول الثانى - عدد الآيات المستشهد بها فى شرح كل معلقة

المعلقة	عدد الآيات	النسبة المئوية
امرؤ القيس	١٩	٣٨/٧%
زهير	٧	١٤/٢٨%
لييد	٧	١٤/٢٨%
عمرو	٧	١٤/٢٨%
طرفة	٤	٨/١٦%
عنترة	٤	٨/١٦%
الحارث	١	٢/٠٤%
المجموع (٧ معلقات)	٤٩	١٠٠%

- قد أتى بأكثر من آية قرآنية لشرح مسألة واحدة كفضية نحوية، مثلاً فى شرحه للبيت الـ ١١ لمعلقة امرئ القيس:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَدَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كَوْرِهَا الْمُتَحَمَّلِ

إذ أشار الزوزنى إلى بناء كلمة (يوم) فى البيت واستشهد بأيتين من القرآن الكريم لشرح هذه القضية النحوية القائلة بأن كلمة المضاف معربة تكسب من المضاف إليه مبنياً البناءً (نفس المصدر: ١١).

– استشهد بأية واحدة فقط فى شرحه على معلقة الحارث بن حلزة، وكان قد كررها فى موضع آخر.

– أما عدد الآيات المستشهد بها فى كلِّ غرض فالجدول التالى يشير إلى تعداد الآيات ونسبتها المئوية:

الجدول الثالث – أغراض الاستشهاد بالآيات القرآنية وعددها ونسبتها المئوية

غرض الاستشهاد بالآيات	عدد الآيات	النسبة المئوية
بيان قضية نحوية	١٨	٣٦/٧٣%
شرح الألفاظ الصعبة	١٧	٣٤/٦٩%
توضيح مسألة صرفية	٨	١٦/٣٢%
شرح موضوع بلاغى	٦	١٢/٢٤%
المجموع (٤ أغراض)	٤٩	١٠٠%

يظهر من الجدول أن الزوزنى اهتم بالنحو والمفردات لأن لهما الدور الرئيسى فى تبيين المعنى وشرحه ومثالهما مثال المفتاح الأساسى لباب المعنى، ولعلَّ الطابع التعليمى الغالب على شرح الزوزنى جعله يهتم بهما أكثر من غيره.

– لم يذكر رقم الآية والسورة للآيات التى استشهد بها فى شرحه.
– بدأ استشهاد بالآيات بقوله: «قال الله تعالى» و«قال جلّ ذكره» وقوله عزّ وجلّ و«فى قوله تعالى» و«قال جلّ وعلا» و«قال تعالى» و«قراءة من قرأ».

٣-٥-٢- الحديث النبوى الشريف

مع أن الحديث من أهمّ الشواهد اللغوية بل أهمّها بعد القرآن وليس الشعر وغيره من كلام العرب بأوثق منه ولا أصحّ منه بعد القرآن فى الاستشهاد على اللفظ الغريب، نلاحظ أن الزوزنى لم يستخدمه فى شرحه إلا فى مواضع قليلة لا تبلغ عدد أصابع يد واحدة ولعلَّ الأمر يعود إلى نفس الدليل الذى يجعل النحاة المتقدمين أن يرفضوا الاستشهاد به، وهو أن الحديث النبوى الشريف مع أنه كان فى غاية البلاغة والفصاحة وكان قد جرى على لسان أفصح من نطق بالضاد ولكن بعد أن تمكّن الإسلام أن يتجاوز الجزيرة العربية ويدخل شتى بقاع الأرض ودخل فيه كثير من الأعاجم واختلطت اللغة العربية بغيرها من اللغات أخذ

الناس الذين قد يتطرق للحن إلى ألسنتهم ينقلون الحديث بمفاهيمه ومعانيه لا بألفاظه الشريفة (عبد المقصود، ٢٠٠٦م: ١٧).

أما استشهاده بالحديث فى ثلاثة مواضع كلها لشرح المفردات وهى:
- فى شرح البيت ٥٦ لمعلقة امرئ القيس:

مِسْحٌ إِذَا مَا السَّيْحَاتُ عَلَى الْوَيْ
أَثْرَنَ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ

فى بيان «المركل» استشهد قائلاً «ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فركلنى جبريل» [لم أعر على الحديث فى كتب الحديث أو شروحها] إذ المركل من الركل: وهو الدفع بالرجل والضرب بها والفعل منه ركل يركل (الزوزنى، ١٩٦٣: ٣١).

- فى شرح البيت الأول من معلقة طرفة:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدِ تَلْوَحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وفى شرح (الوشم) قال: «ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعن الله الواشمة والمستوشمة» [البخارى ١٩٨٧، ج ٢: ٧٨٠]، فالواشمة هى التى تشم اليد والمستوشمة هى التى يُفعل بها ذلك» (٤٥ الزوزنى، ١٩٦٣: ٤٥).

- الموضوع الأخير هو عندما شرح البيت العشرين من معلقة زهير:

فَأَصْبَحْتُهَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ

وفى شرح لغة (العقوق) قال: «العقوق: العصيان، ومنه قوله عليه السلام لا يدخل الجنة عاق لأبويه» [الطبرانى، ١٩٨٣، ج ٢٢: ٣٧٢، وروايته: لا يدخل الجنة عاق، ولا منان ولا مدمن خمر] (الزوزنى، ١٩٦٣: ٧٩).

والذى يُلاحظ من مواضع احتجاج الزوزنى بالحديث أنه احتج به على أمور لغوية والاحتجاج بالحديث فى اللغة لم يكن موضع خلاف بين النحاة ولا ممنوع عند اللغويين وإن لم يُكثر الزوزنى منه. أما الخلاف الذى أشرنا إليه فى الاحتجاج بالحديث فقد كان فى مسائل نحوية أو صرفية ولم ألاحظ على شرح الزوزنى ما أستطيع به إثبات احتجاجه بالحديث فى النحو والصرف.

٣- ٥- ٣- الشعر العربى

لم يحدّد الزوزنى موقفاً واضحاً من الشعراء الذين ذكرهم فى شرحه للمعلقات فهو استشهد بشعر شعراء الطبقة الأولى والثانية ويتوسع فى ذلك كثيراً غير ملتفت إلى ما وُجّه إلى بعضهم من مطاعن كأمية بن أبى الصلت الذى قال فيه ابن قتيبة: «كان يحكى فى شعره قصص الأنبياء ويأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب يأخذها من الكتب القديمة، وبأحاديث من

أحاديث أهل الكتاب». (ابن قتيبة، ١٩٦٩م: ٤٢٩) واستشهد الزوزني بشعره في موضعين (الزوزني، ١٩٦٣: ٢٤ و٨٣).

ثم استشهد الزوزني بالشعر لأغراض منها:

- بيان قضية نحوية: وذلك كشرح البيت السادس للبيد:

فَعَلَا فِرْعَوْنُ الْأَيْهَانَ وَأَطْفَلَتْ
بِالْجَهْلَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَتَعَامُهَا
إذ عطف الشاعر «النعام على الأطباء في الظاهر لزوال اللبس، ومثله قول الشاعر:
وَزَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيْوُنَا»
إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا
(نفس المصدر: ٩٣)

- شرح لغة ومفردة: وذلك في شرح البيت الـ٣٨ لامرئ القيس:

وَتَضْحَى فَنَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا
نَوُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفَضُّلٍ
إذ شرح معنى «الإضحاء» وقال: «الإضحاء: مصادفة الضحى وقد يكون بمعنى الصيرورة أيضاً، يقال: أضحى زيد غنياً أى صار، ولا يراد به أنه صادف الضحى على صفة الغنى، ومنه قول عدى بن زيد:

ثُمَّ أَضْحُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ
فَ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبَّورُ
أى صاروا» (المصدر نفسه: ٢٣).

- توضيح مسألة بلاغية: وذلك كشرحه البيت الـ٣٢ للبيد:

مَشْمُولَةٌ غَلَّتْ بِنَابِتِ عَرَفِجٍ
كَدُخَانَ نَارِ سَاطِعِ أَسْنَامِهَا
إذ قال: «وقوله: كدخان نار ساطع أسنامها صفة أيضاً إلا أنه كرر قوله كدخان لتفخيم الشأن وتعظيم القصة كظائره من مثل:

أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه»

(نفس المصدر: ١٠٢)

- تأكيد المعنى: وذلك كشرحه البيت الـ٦١ لمعلقة زهير:

وَإِنْ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
وَإِنْ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلِمُ
إذ قال: «يقول: إذا كان الشيخ سفيهاً لم يرج حلمه لأنه لا حال بعد الشيب إلا الموت، والفتى وإن كان نزقاً سفيهاً أكسبه شيبه حلماً ووقاراً؛ ومثله قول صالح بن عبد القدوس:
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرَكَ أَخْلَاقَهُ
حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ»
(نفس المصدر: ٨٩)

- شرح مسألة صرفية: وذلك كشرحه البيت الـ١٦ لامرئ القيس:

فَمِنْ لَكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ
فَالْهَيْتَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولٍ

وفى شرحه لفظة «مرضع» تطرق الزوزنى إلى معنى النسبة فى هذا الباب كحامل، وطالق، وحائض قائلاً: «إذا حملت على أنها من المنسوبات لم تلحقها علامة التأنيث وإذا حملت على الفعل لحقتها علامة التأنيث ومعنى المنسوب فى هذا الباب أن يكون الاسم بمعنى ذى كذا أو ذات كذا، والاسم إذا كان من هذا القبيل عرّته العرب من علامة التأنيث» (نفس المصدر: ١٣) واستشهد بآيات قرآنية وآيات شعرية لتوضيح هذه المسألة منها بيت للأعشى:

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَتْ هَيْفَاءَ مِثْلِ الْمُهْرَةِ الضَامِرِ
أى ذات الضمور.

- الإشارة إلى أسماء الأعلام وشرحها: عندما أراد توضيح أسماء الجبال التى أشار إليها لبيد فى قصيدته (الغول، الرجام، الريان) فى البيتين الأول والثانى، قال الزوزنى: «الغول والرجام: جبلان معروفان ومنه قول أوس بن حجر:

رَزَعَمْتُمْ أَنْ غَوْلًا وَالرَّجَامَ لَكُمْ وَمَنْعَجًا فَادْكُرُوا وَالْأَمْرُ مُشْتَرِكُ
... الريان: جبل معروف، ومنه قول جرير:

يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا

(نفس المصدر: ٩١)

- شرح عادات العرب اللغوية: إذا شرح بعض العادات اللغوية للعرب استشهد ببعض الآيات الأخرى ليكون الأمر أكثر وضوحاً عند القارئ، مثلاً فى شرحه البيت الأول لامرئ القيس إذا خاطب صاحبيه قال إن العرب «من عاداتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع» واستشهد بقول الشاعر:

فَإِنْ تَرَجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَرَعَيْانِي أَحْمَ عَرْضًا مُنَمَّعًا

(نفس المصدر: ٧)

أو عندما ذكر أن العرب تجعل الدعاء لأحد فى معرض الدعاء عليه وقال «العرب تفعل ذلك صرفاً لعين الكمال عن المدعو عليه ومنه قولهم: قاتله الله ما أفصحه! ومنه قول جميل:

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُشَيْنَةَ بِالْقَدَى وَفَى الْغُرِّ مِنْ أَنْبَاهِهَا بِالْقَوَادِحِ

(نفس المصدر: ١٢)

- شرح الوزن الشعري والضرورات الشعرية: وذلك فى شرحه للبيت الـ ٥٥ لزهير إذ أخذ على الشاعر قوله «يطيع العوالى» وقال: «وقوله: يطيع العوالى، كان حقه أن يقول: يطيع العوالى، بفتح الياء، ولكنه سکن الياء لإقامة الوزن وحمل النصب على الرفع والجر لأن هذه الياء مسكنة فيهما، ومثله قول الراجز:

كَانَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقُ أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاظِينَ الْوَرَقُ

(نفس المصدر: ٨٨)

- وهناك ملاحظات على منهجه في الاستشهاد بالشعر وهي:
- عدد الأبيات المستشهد بها ٦٨ بيتاً، فعددها أكثر من عدد الآيات المستشهد بها (نفس المصدر: ٤٩)، نذكر أن هذا لا يعني عدم اهتمامه بالقرآن الكريم، بل يعود إلى أهمية الشعر نفسه عند العرب وسرعة حفظه، وانتشار تداوله، إذ كان الشعر ديوان العرب.
 - أن شواهد - مع كثرتها - تُنسب لقائليها في كثير من الأحيان، إذ أشار إلى قائلي الإبيات في ٣٨ بيتاً نسبتها المئوية (نفس المصدر: ٨٨ / ٥٥٪).
 - تحتل شواهد الشعرية في شرح المفردات الصعبة المكان الأول إذ اختصت ٢٥ بيتاً بشرح المفردات نسبتها المئوية (نفس المصدر: ٧٦ / ٣٦٪)، وهناك ١٨ بيتاً لشرح قضايا نحوية نسبتها (نفس المصدر: ٤٧ / ٢٦٪)، و ١٠ أبيات لتوضيح المسائل الصرفية نسبتها (نفس المصدر: ٧٠ / ١٤٪)، وخصّ الزوزني أربعة أبيات لكلّ من شرح البلاغة وتأكيد المعنى المشروح نسبتها (نفس المصدر: ٨ / ٥٪)، واستشهد بثلاثة أبيات لشرح عادات العرب نسبتها (نفس المصدر: ٤١ / ٤٪)، وبأثنين في كلّ من إشارته إلى أسماء الأعلام وشرحه إياها وتوضيح الضرورة الشعرية في بيت واحد نسبتها المئوية ٢ / ٩٤٪.
 - لم ينسب بعض الأبيات إلى قائليها وأتى بقوله: «قول الشاعر» (نفس المصدر: ٧، ١٢، ١٨، ٢٧، ٣٤، ٦١، ٦٣، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١٤٣) و«قول الآخر» (١٣، ١٤، ٩٢، ٩٣).
 - لم يستشهد ببيت شعري في شرحه لمعلّقة عمرو بن كلثوم ومعلّقة الحارث بن حلزة.
 - في شواهد أبيات شعرية للجاهليين كعدى بن زيد (نفس المصدر: ٢٣)، وأمّية بن أبي الصلت (نفس المصدر: ٢٤، ٨٣)، وصالح بن عبد القدوس (نفس المصدر: ٨٩)، وأوس بن حجر (نفس المصدر: ٩١).
 - استشهد بشعر أصحاب المعلقات كالأعشى (نفس المصدر: ٧، ١٣)، والنابغة (نفس المصدر: ١١)، ولييد (نفس المصدر: ٧٠)، وعنترة (نفس المصدر: ١٥)، وطرفة (نفس المصدر: ١٣٨)، وامرئ القيس (نفس المصدر: ٧٥، ٧٧)، وزهير (نفس المصدر: ٣٧)، وعمرو بن كلثوم (نفس المصدر: ٣٩).
 - استشهد بأبيات للشعراء الإسلاميين منهم: جرير (نفس المصدر: ٩١، ١٥)، والفرزدق (نفس المصدر: ١٦)، والأخطل (نفس المصدر: ١٦، ٤٠)، وجميل بثينة (نفس المصدر: ١٢)، والعجاج (نفس المصدر: ٢٦، ١٤٠)، وإبراهيم بن هرمة (نفس المصدر: ١٤٤)، وذوالرمة (نفس المصدر: ١٧)، وبالشعراء المخضرمين كحسان (نفس المصدر: ١٦، ٦٤)، وعمرو بن معديكرب (نفس المصدر: ٣٣، ٧٧).
 - استشهد بشعر النساء الشاعرات كليلي الأخيلى (نفس المصدر: ١٢).

- استشهد بأشعار الذين لم يشتهروا بشعرهم وبشاعريتهم كالعباس عمّ النبى (ص) (نفس المصدر: ٢٦).

- استشهد بأشعار الشعراء الذين أنشد النحويون شعرهم فى كتبهم وذكر أسماء هؤلاء النحاة حيناً كسيبويه (نفس المصدر: ٨٠)، الفراء (نفس المصدر: ٢٤، ٣٠)، ويعقوب (نفس المصدر: ٨٠) ولم يذكر أسمائهم حيناً آخر وقال: «أنشد النحويون» (نفس المصدر: ١٣، ١٤، ٩٧).

- فقد ذكر - فى الغالب - البيت كاملاً واكتفى فى بعض الأحيان (٧ مواضع) بذكر شطرٍ واحدٍ منه.

٣- ٥ - ٤- الأمثال العربية

استشهد الزوزنى فى شرحه بمثلين فقط هما:

الأوّل: «الْحُمَى أضرَعْتَنِي لَكَ» فى شرح مفردة «أضرع» فى قول الشاعر الحارث:
مَلِكٌ أضرَعُ البرِيَّةِ لا يو

«قال أبو عبيد: يضرب هذا فى الذل عند الحاجة التى تنزل» (الميدانى: المثل ١٠٩٠).

والثانى: «بَيْنَ الصُّبْحِ لِذِي عَيْنِينَ» لشرح المفردة أيضاً فى البيت العاشر للبيد:
فَوَقَفْتُ أسألها وَكَيْفَ سَأَلْنَا

هذا المثل يُضرب للأمر يظهر كلَّ الظهور (نفس المصدر: المثل ٢٨٦٣). قال الزوزنى: «يبين: يظهر، بان يبين بياناً وأبان قد يكون بمعنى أظهر ويكون بمعنى ظهر، وكذلك بين وتبين قد يكون بمعنى ظهر وقد يكون بمعنى عرف، واستبان كذلك، فالأوّل لازم والأربعة الباقية قد تكون لازمة وقد تكون متعدية وقولهم: بين الصبحُ لذي عينين أى ظهر فهو لازم هنا» (الزوزنى، ١٩٦٣: ٩٤).

٣- ٦ - النقد

قد قام الزوزنى فى القرن الخامس شارحاً للمعلقات ولم يكن ناقداً لها ولم يميّز الجيد من المدخول، ولم يعرض مقارنات فنية فى شرحه يرجح فيها بيتاً على آخر أو يشير إلى تأثيره به وأخذه عنه، ولكنه يعطى قارئ شرحه فى بعض الأحيان الحكم الذى يدل على ذوق أدبى وخبرة فنية ويظهر آراءه فى شرحه للأبيات أو بيانه الأقوال المختلفة أو الروايات المتنوعة للمفردات أو المعانى، إليك بعض النماذج من أحكامه:

• قوله فى شرح البيت الثانى لامرئ القيس بعد أن وضّح ثلاثة معان للبيت قال: «المعنيان الأولان أظهر من الثالث» (نفس المصدر: ٨).

- قوله في شرح البيت العشرين للمعلقة نفسها وبعد أن شرح المعنى باختلاف دلالة الاستفهام في البيت قال: «والوجه الأمثل هو الوجه الأوّل وهذا القول أرذل الأقوال لأن مثل هذا الكلام لا يستحسن في النسيب بالحبيب» (نفس المصدر: ١٥).
- قال في شرحه البيت العاشر للبيد بعد أن شرح معنى البيت: «لوح إلى أن الداعي إلى هذا السؤال فرط الكلف والشغف وغاية الوله، وهذا مستحب في النسيب والمرثية لأن الهوى والمصيبة يدلها صاحبهما» (نفس المصدر: ٩٥).
- في المعلقة نفسها عند شرح البيت الـ ٢١ قال بعد أن أشار إلى الروايات المختلفة للبيت: «والرواية الأولى أولاهما بالصواب» (نفس المصدر).
- في معلقة امرئ القيس عندما شرح البيت الـ ٢٥ في شرحه التشبيه في البيت قال: «هذا أحسن الأقوال في تفسير البيت» (نفس المصدر: ١٨).
- وهناك بعض العبارات تدلّ على أنه أظهر رأيه في شرحه منها: «الأصل اللغة الأولى» (نفس المصدر: ٨٠)، و«الثانية أجودهما» (نفس المصدر: ٨٧)، و«هو أصحّ القولين» (نفس المصدر: ٦٤)، و«القول الأوّل أحراهما بالصواب» (نفس المصدر: ٦٧).

٣- ٧ - النحو

- من سمات منهج الزوزني عدم اهتمامه الكثير بالقضايا النحوية ولكنه قد يتعرض لها لبيان مواقع الكلمات والجمل، إليك بعض هذه النماذج:
- في شرح البيت الـ ٣٦ لطرفة (كمرداة صخر في صفيح مصمّد) قال إن «مصمّد» نعت للصفيح على لفظه دون معناه (نفس المصدر: ٥٥).
 - في البيت الـ ٨٧ لطرفة قال في «مخافتى» إنه مصدر مضاف إلى المفعول (نفس المصدر: ٦٧).

- في البيت الثاني للبيد وضّح إعراب «عُرّي رسمها خلقاً»؛ قال: «نصب خلقاً على الحال، والعامل فيه عرّي» (نفس المصدر: ٩١).

وملاحظات أخرى حول النحو في شرح الزوزني هي:

- في مواضع قليلة في شرحه نراه يتناول الأوجه الإعرابية المحتملة ويحللها ويرجّح ما يراه مع التعليل وهذا ممّا يُظهر تضلّعه النحوي الذي لم يبرز بروزاً واضحاً في شرحه وإن لم يغفله إغفالاً تاماً، كشرحه البيت الـ ٢٤ لطرفة:

صُهَابِيَّةُ الْعُنْتُونِ مَوْجِدَةٌ الْقَرَا
بَعِيدَةٌ وَخَدِ الرَّجُلِ مَوَارَةَ الْيَدِ
إذ قال: «يجوز جرّ صهايبية العنتون على الصفة لعوجاء، ويجوز رفعها على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي صهايبية العنتون» (نفس المصدر: ٥٢).

- اهتمامه بالنحو ومسائله كان فى الحدّ الذى يساعده لكشف المعنى، إذ يُعدّ النحو وسيلة مهمة فى تكوين العلاقة بين الشعر ومعناه والتحليل النحوى من أهمّ وسائل الكشف عن معنى الشعر كما قال صاحب «الخصائص» موضحاً علاقة التجاذب بين المعنى والإعراب: «وذلك أنك تجد فى كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين؛ هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب» (ابن جنّى، ١٩٩٠م، ج ١: ٣٦)

يظهر هذا فى شرح الزوزنى البيت الثانى لعمر بن كلثوم:

مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

إذ أشار إلى إعراب «سخيننا» وشرح معنى البيت قال: «يقول اسقينيها ممزوجة بالماء كأنها من شدة حرمتها بعد امتزاجها بالماء ألقى فيها نور هذا النبات الأحمر وإذا خالطها الماء وشربناها وسكرنا جدنا بعقائل أموالنا وسمحنا بذخائر أعلاقنا، هذا إذا جعلنا (سخيننا) فعلاً وإذا جعلناه صفة كان المعنى: كأنها حال امتزاجها بالماء وكون الماء حاراً نور هذا النبات» (الزوزنى، ١٩٦٣: ١١٨).

- من مظاهر اهتمامه بالنحو أنه أشار إلى معانى الحروف المستعملة فى الأبيات كقوله فى شرح الأبيات التالية:

• فى الشطر الأول للبيت الـ ٤٢ لامرئ القيس (تسلّت عميات الرجال عن الصبا) قال إن «عن» بمعنى «بعد» و«تقديره: انكشفت وبطلت ضلالات الرجال بعد مضى صباهم وفؤادى بعد فى ضلالة هواها» (نفس المصدر: ٢٥).

• فى الشطر الثانى للبيت الـ ٤٤ لامرئ القيس «علىّ بأنواع الهموم ليبتلى» قال: «الباء فى قوله بأنواع الهموم بمعنى مع» (نفس المصدر: ٢٦)، وأشار إلى نفس المعنى للباء فى بيت ٣٠ لزهير (نفس المصدر: ٨١).

• أشار فى بعض الأبيات أن الحرف كانت للتعدية كإشارته فى بيت ٢٨ لامرئ القيس أن الباء للتعدية (نفس المصدر: ١٩)، وكذلك فى بيت ٤٥ له (نفس المصدر: ٢٦) وفى بيت ٥٤ له (نفس المصدر: ٣١)، وفى بيت ٤ لطفرة (نفس المصدر: ٤٦)، وبيت ٢٢ له (نفس المصدر: ٥٢)، وبيت ٢٩ له أيضاً (نفس المصدر: ٥٤)، وبيت ٩ لزهير (نفس المصدر: ٧٦)، وبيت ٤٤ لزهير وأشار إلى أن الباء تكون بمعنى «مع» أيضاً (نفس المصدر: ٨٥).

• أشار الزوزنى إلى زيادة الحروف فى الأبيات كقوله فى البيت ٧٤ لطفرة (نفس المصدر: ٦٤)، والبيت ٢٩ للبيد (نفس المصدر: ١٠١)، والبيت ١٤ للحارث (نفس المصدر: ١٥٩).

- وأشار في مواضع من شرحه إلى الخلاف بين مدرستَي الكوفة والبصرة كقوله في شرح البيت ٢٨ لعنترة، إذ أشار إلى معنى الباء عند البصريين والكوفيين إذ يعتبرها الأولون زائدة وعند الآخرين بمعنى «من»:

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرَضِينَ فَاصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرَ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
(نفس المصدر: ١٤٣)

وشرح خلافهم في الواو في البيت الـ ٢٩ لامرئ القيس:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنَ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
قال الزوزني: «وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو في «وانتحي» مقحمة زائدة وهو عندهم جواب لَمَّا ... والواو لا تقحم زائدة في جواب لَمَّا عند البصريين والجواب يكون محذوفاً في مثل هذا الموضع» (نفس المصدر: ١٩).

ولم يكتب الزوزني بيان الخلاف بين مدرسة الكوفة والبصرة في القضايا النحوية، بل أشار أيضاً إلى آرائهم في المسائل الصرفية واللغوية كبيان خلافهم في مفردة «الحلوبة» في البيت الثاني عشر لعنترة، إذ اعتبرها البصريون جمع الحلوب، وقال غيرهم هي بمعنى محلوب وفعول إذا كان بمعنى المفعول جاز أن تلحقه تاء التأنيث عندهم (نفس المصدر: ١٣٩). وكذلك قوله في البيت الـ ٥٩ لامرئ القيس إذ أشار إلى آرائهم في كلمة «الأیطل» قائلاً: «أجمع البصريون على أنه لم يأت على فعلٍ من الأسماء إلا إبل ومن الصفات إلا بلز وهي الجارية التارة السمينية الضخمة وحكى الكوفيون إطلا من الأسماء أيضاً مثل إبل، فقد اتفق الفريقان على اقتصار فعلٍ على هذه الثلاثة» (نفس المصدر: ٣٣).

- ذَكَرَ فِي إِشَارَاتِهِ إِلَى النُّحُوِّ بَعْضَ قَضَايَا نَحْوِيَّةٍ وَقَوَاعِدِهَا كَقَوْلِهِ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ الـ ٣٤ لَامرئِ الْقَيْسِ، إِذْ قَالَ: «يَكُونُ لَا مَعَ الْفِعْلِ الْمَاضِي بِمَنْزِلَةِ لَم مَعَ الْفِعْلِ الْمَسْتَقْبَلِ فِي الْمَعْنَى» (نفس المصدر: ٨٣).

- وَإِذَا كَانَتِ الْأَلْفَاظُ فِي الْبَيْتِ غَيْرَ مَرْتَبَةٍ تَتَطَلَّبُ التَّمَلُّ لِفَهْمِ الْمَعْنَى لِتَقْدِيمِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَتَأْخِيرِ بَعْضِهَا الْآخَرَى رَتْبَهَا وَأَتَى بِهَا فِي شَرْحِهِ الْمَعْنَى وَقَالَ: «تَقْدِيرُ الْبَيْتِ هُوَ...» أَوْ «تَقْدِيرُهُ...» إِلَيْكَ نَمَاذِجٌ مِنْ هَذَا:

• قَالَ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ الـ ٤٨ لِعَنْتَرَةَ: «قَوْلُهُ بِعَاجِلِ طُعْنَةٍ، قَدَّمَ الصِّفَةَ عَلَى الْمَوْصُوفِ ثُمَّ أَضَافَهَا، تَقْدِيرُهُ: بِطُعْنَةٍ عَاجِلَةٍ» (نفس المصدر: ١٤٨).

• قَالَ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ الـ ٣٢ لِلشَّاعِرِ نَفْسِهِ:

وَكَأَنَّ رَبًّا أَوْ كَحَيْلًا مُعَقِّدًا حَسَّ الْوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قَمَقَمِ
«وتقدير البيت: وكأن رباً أو كحياًلاً حَسَّ الْوَقُودُ بِإِغْلَانِهِ فِي جَوَانِبِ قَمَقَمِ عَرَقَهَا الَّذِي يَتَرَشَّحُ مِنْهَا» (نفس المصدر: ١٤٤).

• أشار فى البيت الـ٥٩ للبيد إلى التقديم والتأخير الذى وقع فى البيت واستوجبتة الضرورة الشعرية، قال: «قدحت وفض ختامها فيه تقديم وتأخير، تقديره: فض ختامها وقدحت لأنه ما لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر» (نفس المصدر: ١١٠).
- لم يستعمل الزوزنى المصطلحات النحوية كثيراً فى شرحه، فمثلاً فى شرحه البيت التاسع للبيد:

أو رَجَعُ وَاشِمَةَ أَسِفَ نُوورُهَا كِفْفًا تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا
لم يستعمل لفظ «نائب الفاعل» و«الفعل المجهول»، بل قال: «نُوورها: اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، وكففاً هو المفعول الثانى بقى على انتصابه بعد إسناد الفعل إلى المفعول» (نفس المصدر: ٩٤).

ولكن فى شرحه البيت الـ٧٧ لامرئ القيس:

كَبِيرٌ أَناسِ فِي بَجادِ مُزْمَلٍ كَأَنَّ ثَبيراً فِي أَفانينِ وَدَقِهِ
هذا البيت الذى كثيراً ما يستشهد به النحاة فى شرح «المجاورة» فى النحو؛ إذ جرَّ «مزمَل» رغم أنه نعت لـ «كبير» المرفوع وذلك لمجاورته «بجَاد» (ابن هشام، ١٩٨٣م، ج ٤: ٦٤٩)، أشار الزوزنى إلى هذه الظاهرة ورأى ما رآه النحاة وسابقوه من شراح المعلقات وزاد فى شرحه أن من قبيل الجرِّ للمجاورة قول الأخطل:

جزى الله عَنى الأَعورين ملامَةً وفروة تَغَرَّ الثَّورَةَ المتضاجِمِ
ورأى أن «المتضاجِم» مجرورة لمجاورة «الثورة» والأصل فيه النصب، لأنه صفة لـ «تغَر»، ولكنّه لم يبيّن موقع «تغَر» الإعرابى، ولم يبيّن أيضاً سبب نصبه، وأشار إلى أن نظائرها كثيرة (الزوزنى، ١٩٦٣: ٤٠).

٣- ٨ - البلاغة

لم يفرد الزوزنى قسماً خاصاً بعنوان «البلاغة» فى شرحه ليوضّح فيه المقولات البلاغية فى أقسامه الثلاثة - المعانى، البيان، البديع - ولكنّه اهتم بها فى أثناء شرحه معنى البيت، لأن المعنى الذى أهتمّ به كثيراً لم يتّضح دون بيان طرفى التشبيه ووجه الشبه بينهما أو الاستعارة. أهمّ الملاحظات البلاغية فى شرحه هى:

- إذا كان لكلمة دلالة أثرت على المعنى الكلى شرح الزوزنى المعنى مشيراً إلى تلك الدلالة، مثلاً فى البيت السادس لقصيدة امرئ القيس:

وَإِنَّ شِفائِي عِبْرَةَ مُهْرَاقَةٍ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
خرجت الاستفهام عن معناها الحقيقى ودخلت فى حقل المعانى الثانوية ونبّه الزوزنى هذه المسألة إذ قال: «وهذا استفهام يتضمّن معنى الإنكار، والمعنى عند التحقيق: ولا طائل فى

البكاء في هذا الموضوع، لأنه لا يرد حبيباً ولا يجدى على صاحبه بخير، أو لا أحد يعول عليه ويفزع إليه في مثل هذا الموضوع» (الزوزني، ١٩٦٣: ٩).

كما أشار إلى معنى التهكم والاستهزاء في كلمة «تشتموننا» في قول عمرو بن كلثوم في البيت الـ٣٢ من قصيدته (الزوزني، ١٩٦٣: ١٢٤).

– لم يُشر الزوزني إلى وجه الشبه بين طرفي التشبيه في كل التشبيهات إلا في بعضها، نذكر هنا بعض النماذج منها:

• قال في توضيح وجه الشبه لتشبيه امرئ القيس المرأة بالبيض في البيت الـ٢٣ من معلقته: «والنساء يشبهن بالبيض من ثلاثة أوجه: أحدها بالصحة والسلامة عن الطمث، ... والثاني في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحضنه، والثالث في صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافى اللون نقيه إذا كان تحت الطائر» (نفس المصدر: ١٦-١٧).

• في شرح بيت ٧٦ للبيد: «ثم شبهها بالبليّة في قلّة تصرفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرزق منها» (نفس المصدر: ١١٤).

• في تشبيه طرفة الحبيب بالطبي في البيت السادس من معلقته قال الزوزني: «شبهه بالطبي في ثلاثة أشياء: في كحل العينين، وحوة الشفتين، وحسن الجيد» (نفس المصدر: ٤٧). لم يسمّ الزوزني التقسيمات المختلفة للتشبيه كالمرسل، المجمل، التمثيل، البليغ و... وفي البيت الأربعين لمعلقة زهير بعد أن شرح طرفي التشبيه في البيت على حدة وحال كل منهما قال: «وشبه تلك الحال بهذه الحال» (نفس المصدر: ٨٥). ولكنه لم يسمّ تشبيه التمثيل في البيت.

– أمّا في شرح الاستعارات التي وُجدت في أبيات المعلقات فأشار إلى بعض الألفاظ تتعلق بها كـ «يستعار، مستعار، استعار، استعارة». كقوله في شرح بيت ٥١ لمعلقة امرئ القيس:

كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ
وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْتِكَ يَهْزِلُ
قال الزوزني: «أصل الحرث إصلاح الأرض وإلقاء البدر فيها ثمّ يستعار للسعي والكسب كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ الْآيَةَ وَهُوَ فِي الْبَيْتِ مُسْتَعَارًا» (نفس المصدر: ٢٩).

– لم يغفل الزوزني ذكر الكنايات الموجودة في الأبيات وهي في ستة مواضع من المعلقات وأشار إليها الزوزني ضمن شرحه المعنى دون أن يهتم بأنواعها، وأتى بلفظ «كنى» أو «كناية عن» للتعبير عنها.

– أمّا المجاز فسمّاه مرة واحدة في شرحه للبيت ٢٤ للحارث:
قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ الـ
نَاسٍ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءٌ

قال: «جعل التغيّظ والإبء للعزة مجازاً وهما عند التحقيق لهم» (نفس المصدر: ١٥٩).
فى سائر المواضع وضّح المجاز دون ذكر اسمه وبيان أنواع العلاقات بين الطرفين، كشرحه
للبيت ٢٩ لامرئ القيس:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنَ خَبْتِ ذَى حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
إذ أشار إلى إسناد الفعل إلى «بطن خبت» وقال: «أسند الفعل إلى بطن خبت، والفعل عند
التحقيق لهما ولكنّه ضرب من الاتساع فى الكلام» (نفس المصدر: ١٩). أو ذكر فى البيت
الـ٦٦ لهذا الشاعر:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنَ ثُورٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
قال: «نسب فعل الفارس إلى الفرس لأنه حامله وموصله إلى مرامه» (نفس المصدر: ٣٦).
ولكنّه لم يقل أنه من المجاز وعلاقته السببية.

- لم يهتمّ الزوزنى بالتعليق على الألفاظ الصعبة التى اتصف بتنافر مخرجها وثقل النطق بها
مثل (مستشزرات) فى البيت من معلقة امرئ القيس، و(شاو، مثل، شلول) فى البيت للأعشى،
وكانه ترك هذه الظاهرة للبلاغيين الذين أفردوا لها مباحث خاصة فى كتبهم، من هؤلاء
العلماء الأجلاء الجاحظ فى «البيان والتبيين» (ج ١: ٦٥)، ابن سنان فى «سرافصاحة» (٩٩)
وعبد القاهر الجرجانى فى «أسرار البلاغة» (١٢٧) و«دلائل الإعجاز» (٥٧).
- لم يركّز الزوزنى فى شرحه على دراسة المحسنات اللفظية باعتبارها أساساً فى تشكيل
المعنى، فضلاً على دورها الموسيقى فى إنشاد الشعر ولكنه وردت نماذج قليلة تتصل بهذه
المحسنات منها:

• المزاوجة: هى التى تُذكر فى الكتب البلاغية بعنوان «المشاكله» وأشار إليها الزوزنى
فى شرح البيت ٥٣ لعمر و:

أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
إذ قال: «أى لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، أى نجازيهم جزاء يربى عليه،
فسمّى جزاء الجهل جهلاً لآزدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ، كما قال الله تعالى: اللَّهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة ٢: ١٥]، وقال الله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا [الشورى ٤٢:
٤٠]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ، [آل عمران ٣: ٥٤]، وقال جلّ وعلا:
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ [النساء ٤: ١٤٢]. سمى جزاء الاستهزاء والسيئة والمكر
والخداع استهزاء وسيئة ومكراً وخداعاً لما ذكرنا» (نفس المصدر: ١٢٧).

• السجع: أشار إليه الزوزنى فى شرحه البيت الأول لزهير:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُتَّكَلِّمِ

قال: «وقوله «لم تكلم» جزم بلم ثم حرّك الميم بالكسر لأن الساكن إذا حرّك كان الأخرى تحريكه بالكسر ولم يكن بدّ ههنا من تحريكه ليستقيم الوزن ويثبت السجع ثم أشبعت الكسرة بالإطلاق لأن القصيدة مطلقة القوافي» (نفس المصدر: ٧٣).

• الالتفات: لم يذكر لفظ «التفات» في شرحه ولكنه أتى بتوضيحه عندما شرح الأبيات كقوله في شرح البيت ٦ لعنترة:

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةُ مَخْرَمٍ

إذ قال: «يقول: نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر على طلبها وأضرب عن الخبر في الظاهر إلى الخطاب وهو شائع في الكلام، قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ [يونس ١٠: ٢٢]» (نفس المصدر: ١٣٨).

٣- ٩ - الرواية

لم يكن الزوزني حريصاً على الرواية كثيراً فلا نعتبره من العلماء الذين يسندون رواياتهم إلى المؤلفين ولكن هذا لا يعني أنه لم يُراعِ الأمانة العلمية، بل أشار إلى بعض أسماء العلماء الذين أخذ عنهم - كما أشرنا في مصادره - وذكر أصحاب الدواوين الذين استشهد بأبياتهم في شرحه.

اهتمّ الزوزني بالشكل الكلي للرواية وحاول أن يحفظ على الهيكل العام لشرحه ولم يضيف إليه من عنده ما ليس فيه وإذا اضطرّ إلى ذلك نصّ على ما فعل كالذي نراه في شرح معلقة امرئ القيس يبدأ شرح البيت الـ ٤٨:

وَقَرِيبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عِصَامَهَا عَلَى كَاهِلِ مَنِي ذَلُولٍ مُرَحَّلٍ

وقال: «لم يرو جمهور الأئمة هذه الأبيات الأربعة في هذه القصيدة وزعموا أنها لتأبط شراً أعنى: وقربة أقوام إلى قوله وقد أغتدى، ورواها بعضهم في هذه القصيدة هنا» (نفس المصدر: ٢٨).

من مظاهر اهتمام الزوزني بالرواية هو أن الرواية عنده وسيلة للغاية (شرح المعنى) ويوضح معنى البيت على أساس الروايات المختلفة له كما وضّحنا شرحه المعنى في البيت الثاني، والـ ٤١ من معلقة عمرو بن كلثوم.

وعلى الرغم من تصرفه في الرواية لم يتتبع الروايات عند الشعراء ولم يبيّن ما أجروه من تعديل لأشعارهم بدافع من النقد الذاتي ولم يعرض الروايات على مقاييس نقدية ليميز الجيد من الرديء.

لم يجعل الزوزنى مكاناً خاصاً للرواية فى الشرح وأتى بها حيناً بعد أن شرح الألفاظ والمعنى والنحو... وجعلها فى آخر شرحه البيت كما فعل فى البيت الـ٥٧ لقصيدة امرئ القيس:

مِسْحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثْرَنَ غَبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
بعد أن شرح الألفاظ والمعنى وما فى البيت من النحو قال: «ويروى المرخل» (نفس المصدر: ٣٢).

وأتى بالرواية فى آخر شرحه أيضاً عندما شرح البيت الـ٣٢ للمعلقة نفسه (نفس المصدر: ٢١).

وأتى برواية كلمة بعد شرحه معناها حيناً آخر، كشرحه للبيت الـ٣٠ لمعلقة امرئ القيس:
هَصْرَتْ بِفُودَى رَأْسِهَا فَتَمَائِلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيَا الْمُخْلَجِ
وبعد أن شرح المفردات فى الشطر الأول قال: «ويروى: إذا قلت هاتى ناولينى تمايلت» (نفس المصدر: ٢٠) وأخذ فى شرح معنى «ناول».

ولكن هناك ملاحظات لمنهج الزوزنى فى شرحه يجدر الانتباه لها، وهى أنه:
- لا يظهر طول النفس عند الزوزنى فى شرحه ولعل هذا يعود إلى ما ذكره فى مقدمته بأنه اختار «الإيجاز والاختصار» فى شرحه، وإذا شئنا أن نجعل لهذا الكتاب رتبة فى الشرح كما - إذ نقسم الشروح إلى ثلاثة أقسام هى الموجزة، والمتوسطة، والمطوّلة - يُمكننا أن نجعله ضمن الشروح المتوسطة؛ إذ لا يطيل الشارح فى شرحه ولا يمل المتعلم القارئ ولا يقصر فيه ولا يخل بالموضوع والشرح يترجح بين الإيجاز والإسهاب وهو شرح وافٍ بالمعنى، مع أن المؤلف أشار إلى أنه شرح الأبيات بالإيجاز والاختصار. والبيت ١٦ من معلقة امرئ القيس شرح بأكثر من ثلاثين سطراً وهو أطول شرح بيت فى شرح الزوزنى.
- يجب الانتباه لظاهرة «التكرار» أنها لا تظهر فى شرحه ظهوراً بيّناً وإن كان هناك بعض التكرار فى شرح مفردة كشرحه لكلمة «الهاديات» مرتين مع أنه ما وقعت بينهما فاصلة بعيدة فى الشرح (نفس المصدر: ٣٤، ٣٦).

أو فى الاستشهاد بآية كما ذكر آية لَعَلَى أُبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ [غافر: ٤٠: ٣٦] مرتين (نفس المصدر: ١٢، ١٦٥) وكذلك آية هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ [الإنسان: ٧٦: ١] (نفس المصدر: ٨٠، ١٣٧).

أو الإشارة إلى علّة تسمية كلمة كما أشار إلى تسمية كلمة «المدام» (نفس المصدر: ١٠٩، ١٤٥) مرتين وكذلك بالنسبة إلى كلمة «الكشع» (نفس المصدر: ٨٣، ١١٩)، ولكن هذا ممّا يمكن أن نعزوه إلى نسيان الشارح لأنه كان يُملئ شرحه ولا شك أنه قد أنجزه على مدى

أزمنة متقطعة وإذا أحسننا الظنّ وذهبنا إلى أنه تعمّد ذلك ليمنح كلّ نصّ شرحه كاملاً، نلاحظ أنه في بعض الأحيان ابتعد عن التكرار وعن الإعادة وتفسير ما رآه واضحاً.

قال في شرح البيت الثاني لعنترة:

وُفَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكَ أَسَىٰ وَتَجَلَّدِ

«قد سبق القول في قوله عمى صباحاً» (نفس المصدر: ١٣٧).

في الواقع أنه لم يشرح البيت الثاني لطرفة لشبهه بيت امرئ القيس، لأن البيتين يختلفان فقط في كلمة واحدة والزوزني شرحها وهي «تجلّد» في بيت طرفة و«تجملي» في بيت امرئ القيس، قال: «تفسير البيت هنا كتفسيره في قصيدة امرئ القيس، التجلّد: تكلف الجلادة وهو التصبّر» (نفس المصدر: ٤٥).

- لم يتعرض الزوزني إلى تعريف أعلام الإنسان والقبائل التي أورد أسماءها في شرحه وقد اكتفى في تعريف العلم بذكر نسبه كما قال في البيت الـ٢٧ للحارث:

إِرْمَىٰ بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْخَيْدُ
لِ وَتَأْبَىٰ لِخَصْمِهَا الْإِجْلَاءُ

«إرم: جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام» (نفس المصدر: ١٦٠)، بل ربّما اكتفى باسمه معرّفًا إيّاه بأنه «رجل» كما فعل في شرحه للبيت الـ٦١ لمعلقة عمرو والعلم هو «علقمة بن سيف» (نفس المصدر: ١٢٩) أو شرحه للبيت الـ٦٩ لطرفة والعلم هو «قرط بن معبد»:

يَلُومُ وَمَا أَدْرَىٰ عِلَامٌ يَلُومُنِي
كَمَا لَامَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ

إذ قال في شرح البيت: «يلومني مالم وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إيّاي كما لامني هذا الرجل في القبيلة، يريد أن لومه إيّاه ظلم صراح كما كان لوم قرط إيّاه كذلك» (نفس المصدر: ٦٣).

وكذلك موقفه بالنسبة إلى الملك «عمرو بن هند» (نفس المصدر: ١٢٢) و«حصين بن مضم» (نفس المصدر: ٨٢) وغيرهما من الأعلام المذكورة في أبيات المعلقات.

والأمر لا يختلف لديه بالنسبة إلى القبائل والأقوام التي أشار الشعراء إليها في شعرهم كما أن الشعراء عمراً والحارث ذكراً أسماء بعضها كبنى جشم بن بكر (نفس المصدر: ١٢٧)، وكليب (نفس المصدر: ١٢٩)، وذوالبرة (نفس المصدر: ١٢٩)، والأرقام (نفس المصدر: ١٥٧) و... ذكر الزوزني في ذوالبرة والأرقام علّة تسميتهما باسمهما بعد إشارته إلى أنهما من بني تغلب.

- والاستطراد من سمات كثير من شراح المعلقات فضلاً عن الزوزني في شرحه، نجد الزوزني أنه لم يكتف بالتفسير التي جاء بها، بل قدّم الشواهد عليه من القرآن والحديث والشعر ثم عاد وشرح هذه الشواهد في بعض الأحيان، فمثلاً عندما أورد الزوزني حديث

النبي (ص) «لعن الله الواشمة والمستوشمة» فى شرحه مفردة «الوشم» أخذ يشرح الواشمة والمستوشمة الواردتين فى الحديث (نفس المصدر: ٧٥). غير أن استطراده لم يخرج من حده وكأنه كان يقيّد نفسه بحدود ما اقتضاه شرح البيت، ولم يستعرض حصيلته العلمية فى شرح الأنساب والأيام.

- فى شرح الزوزنى بعض الإشارات إلى عادات العرب كما ذكر أن العرب كانت تقول فى تحيتها: انعم صباحاً أى نعمت صباحاً (نفس المصدر: ٧٥)، أو أشار إلى أن نساء العرب «تذر الإثمد على الشفاه واللثات فىكون ذلك أشدّ للمعان الأسنان» (نفس المصدر: ٤٨)، أو أشار إلى بعض عاداتهم اللغوية كقوله فى شرح البيت الأول لامرئ القيس «قفا نبك» إذا خاطب صاحبيه إلى أن العرب «من عاداتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع» (نفس المصدر: ٧)، أو تصريحه بأن العرب تجعل الدعاء لأحد فى معرض الدعاء عليه و«العرب تفعل ذلك صرفاً لعين الكمال عن المدعو عليه ومنه قولهم: قاتله الله ما أفصحه!» (نفس المصدر: ١٢).

- قامت طريقة الزوزنى فى شرحه على الانطلاق من الجزء أى الكلمة إلى الكلّ أى البيت، ولكنّه لم يتجاوز ذلك إلى القصيدة، ولعلّه كان يعتبر أنه إذا تمّ توضيح كلّ جزء من الأجزاء ينكشف الكلّ ويتضح.

- أمّا تخلّص الشاعر من موضوع إلى آخر فأشار إليه الزوزنى فى بعض المواضع، إليك نماذج منه:

- فى قصيدة لبيد البيت الـ١٦، قال: «ثمّ أضرب عن صفة الديار ووصف حال احتمال الأحباب بعد تمامها وأخذ فى كلام آخر» (نفس المصدر: ٩٧).
- فى المعلقة نفسها قال الزوزنى فى شرح البيت العشرين: «ثمّ أضرب عن ذكر نوار وأقبل على نفسه مخاطباً إيّاها» (نفس المصدر: ٩٨).
- فى معلقة عنتره قال فى البيت الـ١٩: «لما شبّه طيب نكهة هذه المرأة بطيب نسيم الروضة بالغ فى وصف الروضة وأمعن فى نعتها ليكون ريحها أطيّب ثمّ عاد إلى النسب فقال: تمسى...» (نفس المصدر: ١٤١).

النتيجة

أظهرت هذه الدراسة أن الزوزنى اهتمّ بالمعنى أكثر من غيره فى شرحه للمعلقات وأتسم به منهجه ولم يكن منهجه منهجاً تكاملياً يجمع فيه محسنات الاتجاهات التاريخية واللغوية والنحوية والنقدية كلّها - وإن لم تخل منها كلياً - وأتى باستطاداتها وما أتقلت به الشعر من أحمال، وأن الطابع العام لشرح الزوزنى الطابع التعليمى كما يظهر هذا للمتأمل فيه فى مظاهر شتى أشرت إليها كذكره مفرد الكلمات وجمعها، وتأنيثها وتذكيرها، وشرح المعنى شرحاً

كاملاً، وعدم الخوض في الحوادث التاريخية كالأيام والأحساب والأنساب والروايات المختلفة.

أمّا أسلوب الزوزنى في شرحه فهو أسلوب سهل عذب لا يملّه القارئ، والشارح لم يشحنه بالحجّة والمنطق والبرهان للقضايا النحوية وغيرها، كى لا يرغب القارئ المتعلّم عنه. وهو شرح يناسب أسلوبه متعلّمى العربية الذين أرادوا الاطلاع على المعلقة بوصفها أفضل موروث عند العرب.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن جنى، عثمان. (١٩٩٠م). «الخصائص»، تحقيق: محمد على النجار، بغداد: دارالشؤون الثقافية العامة.

٣- ابن قتيبة الدينورى، عبد الله بن مسلم. (١٩٦٩م). «الشعر و الشعراء»، بيروت: دارالتقافة.

٤- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف. (١٩٨٣م). «مغنى اللبيب عن كتب الأعراب»، تحقيق: مازن المبارك ومحمد على، مراجعة سعيد الأفغانى، بيروت: دار الفكر، ط ٣.

٥- البخارى، محمد بن إسماعيل. (١٩٨٧م). «الجامع الصحيح المختصر»، تحقيق: مصطفى ديب البغا، اليمامة - بيروت: دار ابن كثير.

٦- البكاء، محمد عبد المطلب. (١٩٩٠م). «منهج أبى سعيد السيرافى فى شرح كتاب سيبويه»، د.م: دار الشؤون الثقافية العامة.

٧- الزبيدى، كاصد ياسر. (٢٠٠٤م). «منهج الشيخ أبى جعفر الطوسى فى تفسير القرآن الكريم دراسة لغوية نحوية بلاغية»، بغداد: بيت الحكمة.

٨- الزركلى، خير الدين. (١٩٦٩م). «الأعلام: قاموس تراجم الأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين»، بيروت: دار الجيل، ط ٣.

٩- الزوزنى، الحسين بن أحمد. (١٩٦٣م). «شرح المعلقة السبع»، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

١٠- الطبرانى، سليمان بن أحمد. (١٩٨٣م). «المعجم الكبير»، تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفى، الموصل: مكتبة العلوم وحكم.

١١- القفطى، الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف. (٢٠٠٤م). «إنباه الرواة على أنباه النحاة»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.

- ١٢- الميدانى، أبو الفضل. (٢٠٠٣م). «مجمع الأمثال»، تحقيق و شرح: للدكتور قصى الحسين، بيروت: دار و مكتبة الهلال.
- ١٣- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. (د.ت). «شرح القوائد المشهورات الموسومة بالمعلقات»، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٤- حاجى خليفه، مصطفى بن عبد الله. (د.ت). «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون»، بيروت: دار الفكر.
- ١٥- حرب، طلال. (١٩٩٣م). «الوافى بالمعلقات قراءة حديثه لخطابها الشعرى وتاريخها»، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع.
- ١٦- عبد المقصود، عبد المقصود محمد. (٢٠٠٦م). «منهج أبى البركات الأنبارى فى إعراب القرآن»، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

فصلنامه‌ی لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
(علمی - پژوهشی)
سال سوم، دوره‌ی جدید، شماره‌ی پنجم، پاییز ۱۳۹۰
روش زوزنی در «شرح معلقات سبع»*

دکتر سیدمحمدرضا ابن‌الرسول
استادیار دانشگاه اصفهان
دکتر محمد خاقانی
دانشیار دانشگاه اصفهان
سمیه حسنعلیان
دکتر در ادب عربی

چکیده

نظر به اهمیت معلقات به عنوان قصاید معروف دوران جاهلی که در بلندای زیبایی شعری، خیال و تصویر پردازی قرار داشته، شامل مجموعه‌ی بزرگی از واژگان غریب آن دوران است و بسیاری از ابیات آن به عنوان شاهد در کتاب‌های بلاغی، صرفی، نحوی و تفسیری مورد استشهد قرار گرفته است. دانشمندان بسیاری به شرح و توضیح ابیات این قصاید همت گماشته‌اند که از جمله این شروح، شرح دانشمند ایرانی الاصل زوزنی بر معلقات است. از سوی دیگر نظر به اهمیت شناخت روش شارحان در شروح خود به عنوان کلیدی گران‌بها برای محققان در متن‌پژوهی و داوری شرح‌ها و نیز شهرت کتاب زوزنی «شرح المعلقات السبع»، مقاله‌ی حاضر با روش توصیفی - تحلیلی این کتاب ارزشمند را بررسی کرده است. مهم‌ترین یافته‌های پژوهش نمایانگر این حقیقت است که زوزنی در شرح معلقات، مقوله‌ی معنا را نصب العین خود قرار داده و با اشاراتی به نکات نحوی، نقدی، بلاغی و روایت ابیات، شرح خود را به کتاب آموزشی مناسبی تبدیل نموده است.

واژگان کلیدی
روش شناسی، معلقات، شرح، زوزنی، «شرح المعلقات السبع».

* - تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۸۹/۱۲/۲۴ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۰/۰۴/۱۴
نشانی پست الکترونیکی نویسنده: ibnorrasool@yahoo.com